

جوهر التفكير الفلسفية ؟

إنَّ العقل ليس صندوقاً فارغاً حتى تُلقي فيه المعلومات المتنوعة والمواد المختلفة ، ولا مستودعاً تخزن فيه الحقائق ولا الأكاذيب ، بل هو في جوهره يتكون من ... مجموعة القدرات التي تصوغ التفاعلات في ذات الإنسان أو في محيطه الخارجي حتى يستطيع أن يطرح الأسئلة التي تتفاعل داخله، وترتّب نفسها، وأنماط التفكير المختلفة تستدعي العقل لكي يصوغ رؤية واضحة للوجود وما يحمله من معضلات. فالعقل لا يبدأ بالإجابات، بل يبدأ بالأسئلة التي هي الشارة التي تقدح العقل وتحفزه للتفكير في الإجابات عليها ...

وأعني الشارة بأنها التي تُشعل حركة التفكير وتدفعه نحو استكشاف الحقيقة. إذن يتضح لنا أن الأسئلة هي التي تبحث عن الحقيقة الغائبة أو المشوّشة، وبفعل السؤال الذي يُحرّك العقل للإجابة، فإن دلالات التحفيز يدل عليها؟؟ ارتقاء السؤال في الداخل الذي يرتفع معه العقل.

إذن السؤال ليس مجرد استفسار، بل حركة وجودية تؤسس لبداية التفكير. ولذلك لا يمكن للعقل أن يعمل بلا سؤال، لأن السؤال هو الذي يحدد شكل الطريق، وهو الذي يرسم حدود المتنق الذي سيتعامل معه العقل في محاولته فهم الأشياء. كل سؤال يُعيد ترتيب الداخل، ويفتح باباً، ويستفزّ وعيّاً، ويوقظ قدرة قد تكون نائمة تحت ركام المسلطات.

والعقل يبدأ كما أفهمه :-
من الجزئيات:

من تفاصيل صغيرة، من ظواهر محددة، من ملاحظات يومية دقيقة، من تجارب متفرقة. ثم يعيد تفكيرها وترتيبها وصياغتها حتى تُنتج معنى كليّاً يصلح بأن يكون قاعدة للفهم بل ولإدراك ما لا يدرك أو كما نعني به (الإستشفاف والإستشعار) وهذه الحركة ليست آلية، بل واعية؛ وليس تلقيناً، بل بناءً.

فالإنسان لا يكتشف الحقيقة كما هي، بل يصوغها عبر ترتيب المعاني التي تتشكل لديه من جمع الجزئيات وإعادة تركيبها ثم صياغتها صياغةً نهائية في صورة كلية. ثم بعد ذلك ألا يجب علينا أن نعرف على أن العقل لا يستقبل الحقيقة... بل يصنعها لأن الحقيقة ليست قالباً جاهزاً، وليس شيئاً ثابتاً منزلاً في الوعي، بل هي نتيجة عملية عقلية يتداخل فيها السؤال، والمنطق، والتأمل، وإعادة النظر.

إن العقل قبل أن يقنع يختبر كل التفاعلات التي تفاعل معها
و قبل أن يقبل؟ يسأل.

و قبل أن يسألـ؟ يعيد ترتيب الأسس والمنطلقات.

إذن فإن الحقيقة في هذا السياق ليست ما نراه

بل ما نقدر على تفسيره و تبريره و ربطه بما نعرفه و ندركه من معطيات أخرى....

نستنتج مـذ ذلك أن القناعة ليست عاطفة، بل هي نتيجة سـؤالـ منطقـي!!

إذن فالقناعة في جوهرها، محصلة نهاية لمسار عقلي يبدأ بالسؤال وينتهي بالدليل وبالبرهان بعد إلقاء الحجـج .

وهي ليست ردـ فعلـ نفسـي، ولا توافقـ مع هوـي، بل ناتج تفاعل بين أسـئـلة دـقـيقـة و إـجـابـات مـقـنـعـةـ .
لـذـكـ تـخـلـفـ قـنـاعـاتـ البـشـرـ بـقـدـرـ اـخـلـافـ أـسـئـلـتـهـمـ .

وـمنـ لاـ يـسـأـلـ لاـ يـصـلـ، وـمـنـ يـسـأـلـ وـلـاـ يـرـاجـعـ أـسـئـلـتـهـ يـضـلـ عنـ الـحـقـيقـةـ حـتـىـ لـوـ حـمـلـ أـعـلـىـ درـجـاتـ الـعـلـمـ .
فـالـعـقـلـ يـصـدـعـ بـالـسـؤـالـ، وـالـقـنـاعـةـ تـُـصـانـ بـالـفـحـصـ، وـالـحـقـيقـةـ تـُـخـتـبـرـ بـإـخـصـاعـهـاـ لـلـمـزـيدـ مـنـ الـأـسـئـلـةـ....
عـلـىـ أـنـ إـجـابـاتـ لـيـسـتـ مـحـطـةـ نـهـائـيـةـ، بلـ جـزـءـ مـنـ الطـرـيـقـ الـمـوـصـلـ إـلـىـ الـحـقـيقـةـ الـمـقـنـعـةـ .
إـنـنـيـ أـعـتـقـدـ أـنـ كـلـ إـجـابـةـ تـوـلـدـ سـؤـالـ جـدـيدـاـ يـتـصـلـ اـتـصـالـاـ مـبـاـشـراـ بـالـسـؤـالـ الـأـوـلـ مـحـلـ اـبـتـدـاءـ طـلـبـ .
الـحـقـيقـةـ .

وـكـلـ سـؤـالـ جـدـيدـ يـعـيـدـ تـشـكـيلـ طـرـيـقـ التـفـكـيرـ وـرـبـماـ يـسـتـحـدـثـ أـنـمـاطـ تـفـكـيرـ ، وـيـعـيـدـ تـرـتـيبـ الـوـعـيـ منـ
جـدـيدـ....

هـكـذـاـ يـتـقـدـمـ الـوـعـيـ، وـالـتـقـدـمـ يـكـوـنـ مـحـصـلـةـ تـطـوـرـ الـعـقـلـ وـقـدـرـتـهـ عـلـىـ صـيـاغـةـ الـأـسـئـلـةـ، وـالـتـطـوـرـ لـنـ يـكـوـنـ
بـتـكـدـيـسـ إـجـابـاتـ، بلـ بـتـولـيـدـ أـسـئـلـةـ تـفـتـحـ مـسـاحـاتـ لـمـ تـُـكـتـشـفـ بـعـدـ....
وـفـيـ الـخـتـامـ إـنـ الـعـقـلـ كـمـ أـفـهـمـهـ وـأـرـاهـ بـأـنـ سـؤـالـ قـبـلـ أـنـ يـكـوـنـ جـوابـ، وـبـحـثـاـ قـبـلـ أـنـ يـكـوـنـ اـمـتـلاـكـ
لـلـحـقـيقـةـ، وـهـوـحـرـكـةـ لـاـ تـهـدـأـ لـاجـتـيـازـ حدـودـ السـكـونـ الـفـكـرـيـ وـالـوـعـيـ الـمـقـارـنـ .

فـالـسـؤـالـ هوـ الـذـيـ يـمـنـحـ الـعـقـلـ الـقـدـرـةـ عـلـىـ تـشـكـيلـ الـحـقـائقـ وـتـرـتـيبـهـاـ وـصـيـاغـةـ الـقـنـاعـاتـ الـتـيـ يـرـسـوـ عـلـيـهاـ .
وـبـقـدـرـ ماـ تـكـوـنـ الـأـسـئـلـةـ مـنـطـقـيـةـ وـعـمـيقـةـ، تـكـوـنـ الـقـنـاعـةـ صـادـقـةـ وـرـصـيـنـةـ .

وـبـهـذـاـ يـظـلـ الـعـقـلـ فـيـ حـالـةـ سـيـرـ دـائـمـ بـيـنـ الـوـعـيـ وـالـلـاوـعـيـ، بـيـنـ الـمـعـرـفـةـ وـالـشـكـ، وـبـيـنـ السـؤـالـ وـالـإـجـابـةـ...
إـذـنـ إـنـ السـؤـالـ فـيـ جـوـهـرـهـ يـكـوـنـ أـسـاسـ لـبـدـاـيـةـ إـجـابـاتـ الـعـقـلـيـةـ....ـ وـإـجـابـاتـ هـيـ جـوـهـرـ الـعـقـلـ ...